باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكن الهمة قد يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا نخرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحاز على المطولة

الفارابي وحركة الارض

حضرة صاحب المقتطف الاستاذ الفاضل

تناولت المقتطف الاخير جزء يونيو وبينما انا اتلذذ بمطالعة فصوله المفيدة ومباحثه الدقيقة اذ قرأت للاستاذ حنا خباز تحت عنوان « نظرية اينشتين والفارابي » رسالة قيها استغراب ان يكون مثل الفارابي سبق الى شيء من نظرية الجاذبية وانهُ لا يمكن ان يكون ذلك لان عصره لم يبلغ ما بلغتهُ العصور الحديثة « المبنية على الامتحان والقياس » واني استشمّ من كلام الاستاذ حنا خباز شيئاً من الاستصغار لمعارف الاولين. وليس هذا بشأن عالم مثله . فالاعصر الحديثة بلغت بسنّة النشوء والارتقاء في العلم مبلغاً لم تصل اليه القرون الوسطى او التي قبلها وهذا لا جدال فيه . ولكن من الخطأ ان يظن ان معارف الاولين كانت كلها اذواقاً تصوفية واشراقات روحية خالية من الامتحان والقياس ! فلولا الامتحان والقياس ما امكنها ان تكون علوماً تؤسس عليها هذه العلوم الحديثة التي ليست الاّ سلسلة من سلسلة طويلة . ولم تولد هذه العلوم رأساً كما لا يخفى. ويقول الاستاذ خباز : « كان علماء الفلك في عهد الفارابي وقبله وبعده الى عصر كوبرنيقوس يعتقدون ان الارض مركز الفلك وان الشمس احدى السيارات التابعة لها . على هذا الايمان العلمي مات ابو نصر واندادهُ ولكن كوبرنيقوس البولوني ظهر بعد الفارابي بنحو خمسة قرون وقال « ان الشمس هي المركز والارض احدى سياراتها »

وليس الامر كذلك وليس هذا الجزم كله ضرورياً . فالقول بحركة الارض قديم . والقول بجاذبية الافلاك قديم قرأت منهُ في رسائل اخوان الصفاء . وغاية ما هناك ان الفلكيين كانوا يقولون بوجود رأيين حركة الشمس حول الارض وحركة الارض حول الشمس . وخذ لك من مواقف العضد التي شرحها السيد الجرجاني هذا الموقف :

« وقيل انها — اي الارض — تدور على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية للفلك التي اعتقدها الجمهور . والحركة اليومية لا توجد وانما تتخيل بحركة الارض يتبدّل الوضع من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغير الوضع بيننا وبينها فاننا على جزء معين منها فاذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مختفية عنا بحدبة الارض وخفي عنا بحديها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظن ان الارض ساكنة والمتحرك هو الفلك . وليس كذلك بل ليس ثمة فلك أطلس وذلك كراكب السفينة يرى السفينة مع حركتها حيث لا يتبدل وضع اجزائها منها والشط متحرك مع سكونه حيث يتبدل وضعه مع ظن انهُ ساكن وكذلك يرى القمر سائراً الى جهة الشرق حين يسير الغيم اليه » . والفارابي هو من اكبر فلاسفة العالم وسنذكر عنهُ في فرصة اخرى ما يعلم منهُ شيء من عبقريته التي لا يؤخر مكانهُ فيها كون عصر اينشتين في العلم ارقى من عصره لا كون اينشتين هو بنفسه أعظم دماغاً من دماغ الفارابي

والعلم هو كما قال الاستاذ خباز ليس فيه اديان ومذاهب ولا اجناس ولا سلائل . واذا نظرنا بعين التأمل نجد اينشتين اقرب الى العرب من الفارابي . لان اينشتين يهودي وقد يكون ساميًّا من ابناء عمّ العرب . واما الفارابي فيوعلى رواية فارسي اي من السلالة الآرية التي هي القرب الى الاوربيين وعلى رواية اخرى تركي اي من السلالة المغولية الصفراء . ولكن على الناس ان يذكروا كل عالم بدرجته وليس عليهم حرج ان يفتخروا به . فاليهود [illegible] والانكليز يفتخرون بشوفر والعرسيون يفتخرون باسترو . وهذه المفاخر [illegible] في الجهاد السلمي والاقدام على خدمة الانسانية . وانّي لاشكر جدًّا للاستاذ محمد [illegible] الفارابي من الكلام على الجاذبية وهو رأى له فيه من الفضل والسبق ما ليس لعلماء هذا العصر الذي امتلأ بهذه النظرية ولا يخفى ان واضع الاساس له من الفضل ما ليس لغيره لوزان شكيب ارسلان

لم يكن القصد من الكلمة التي تفضل المقتطف بنشرها في استصغار علوم الاوائل ولا الموازنة بين دماغ اينشتين ودماغ الفارابي . وانما كان قصدي الاشارة الى ان ارتقاء العلوم الذي تمّ في العصور الفاصلة بين عصر الفارابي وعصر اينشتين مهّد لاينشتين من الاسباب ما مكنهُ بقوة عقله من اخراج مذهبه المشهور . ولولا هذا الارتقاء لما تمّ ذلك لاينشتين ولا لغيره . فكيف نستطيع ان نقول ان الفارابي على جلالة قدره سبق اينشتين الى مذهبه ؟ منا لمباد

حول نشأة فن المقامات

لم اكتب في هذا المعنى شيئاً اكثر من ان ما زعمهُ الدكتور زكي مبارك اكتشافاً كان امراً مكشوفاً يعرفه هذا وذاك لان كتاب زهر الآداب مطبوع مقروء ولان العبارة التي قال الدكتور انه وصل اليها اخيراً في هذا الكتاب يجدها في شرح الشريشي على مقامات الحريري وهو شرح معروف مطبع مراراً ومعنى ذلك انه قرىء مراراً . . . ثم قلت ان ما خلط به الدكتور في الكلام عن احاديث ابن دريد نقلاً عن استاذه الدكتور طه حسين كلام مضحك . غير ان حضرته على ما يظهر لي . . . لم يرضه ان يرجع بعد البعير بخفي المسيو حنين . . . فجاء يقول في رده ان كلمتي دون ما كان يظن من العمق . لشدتك الله ايها الفاضل ما حاجتنا الى العمق والاقيانوس والباخرة ونحن بصدد اكتشاف اميركا في كتاب جغرافيا . . . ؟

افهمْ انت ما تكتبه بقلمك يا حضرة الدكتور حين تقول في ردك : « الرافعي يسأل كيف عارض بديع الزمان ابن دريد ثم لا يستفيض ذكر هذه المعارضة في كتب المشرق ولا نراه منقولاً الا عن رجل من اهل القيروان . ومع انه بسأل هذا السؤال فانه يذكر ان الشريشي نقل هذا النص في شرحه على مقامات الحريري . الا يكفي ان يذكر هذا النص في ثلاثة مصادر : زهر الآداب وشرح الشريشي ومعجم ياقوت ؟ »

الا ليت شعري اذا كان النص قد ذكره صاحب زهر الآداب ثم نقله ياقوت ونقله عنه الشريشي فهل نحن الا حيث كنا من ان هذا النص قد انفرد به صاحب زهر الآداب ولم نره « منقولاً » الا عن رجل من اهل (القيروان) ؟

لا ريب ان في رأس الدكتور وهماً يعدُّ له في مزاعمه الخيالية فهو يظن ان « جميع الدوائر الادبية » تقرر ان بديع الزمان اول من ابتكر فن المقامات ومن هذا الظن يظن . . انه اكتشف . ولكن في اي كتاب من كتب « جميع الدوائر الادبية » وجد النص على ان بديع الزمان اول من ابتكر هذا الفن ؟

سيبحث الدكتور في كتب المدارس الثانوية وفي كتب الادباء قديماً وحديثاً فيعرف انه كان واهماً في هذا الزعم وحينئذ لا ارد انا عليه بل يرد زكي مبارك على زكي مبارك

ويطمع الاديب الفاضل في آخر رده ان اسجل « انه اول من اهتدى الى الصواب في نشأة فن المقامات » . وبودي والله ان يكون اهتدى فضلاً عن ان يكون اول من اهتدى . . . .

مصطفى صادق الرافعي

وأد البنات والاشتراكية في النساء

وأثر البيئة في ذلك

قرأت في المقتطف البحث الطريف عن قبائل التوارج فاستوقف نظري ما جاء فيه عن سيادة المرأة فيها حتى لتختار لنفسها زوجها وينتسب ابناؤها اليها دون والدهم لأني كنت منذ بضعة شهور في حوارقي موضوع من هذا القبيل مع بعض الاصدقاء بصدد ما نشر في الصحف عن حركة قام بها الرجال في احدى بلاد آسيا للمطالبة بحق المساواة مع النساء وقد اختلفت آراؤنا حينئذٍ في تعليل هذه الظاهرة الاجتماعية الشاذة وكنت احسب اني سأجد في هذا البحث الجواب الشافي لما فيه اختلفنا والدليل المقنع لشذوذ المرأة عن النظام الطبيعي الذي يجعل للرجل حق اختيار الزوجة لانهُ اقوى من المرأة جسماً واقدر لذلك على اخضاعها لرغباته وقسرها على طاعته . فاذا الكاتب لم يعرض بالاسف لهذه المسألة بل رأيتهُ يصف المقام الذي نالتهُ المرأة التارجية بالرفعة ويعرفه بانهُ هو مقام المرأة الغربية من حيث مساواتها بالرجل من غير ان يبين عن العوامل التي رفعتها الى هذا المقام او يعلل خروجها في أمة تدين بالاسلام عن القاعدة التي تجعل الرجال قوامين على النساء. ولعله لم يبحث في ذلك لانهُ لا يقر شذوذ مركزها بل يصرح بانهُ دليل الرقي

على اني لست أرى سيادة المرأة من الحضارة في شيء ولاهي آية على الرقي كما يذهب الكاتب الا وسيلة من الوسائل البدائية التي جأ اليها الانسان الاول لاتقاء المجاعة وصورة من صور عديدة التي تغلبت عليها علاقة الرجل بالمرأة في بعض البيئات شذوذاً عن المألوف تبعاً لاختلاف الاحوال فيها عن المعتاد. وسأحاول في هذا المقال بسط ذلك ما يتسع له المقام

قبل ان يعرف الانسان الزراعة او يهتدي الى وسيلة اخرى لتوفير اسباب المعيشة طبقاً لحاجته كان عرضة للقحط والمجاعة وكان اذا ضاقت باحدى القبائل سبل المعيشة في رحب مجرتها الى مجرى الشعوب الا حيث تقوم دون الارتحال موانع طبيعية تضطر الى البقاء حيث هي محصورة ثم ترى لها من الضيق مخرجاً بأنقاص الاستهلاك وتأخذ لذلك بأبسط الوسائل ومما عرف من هذه الوسائل البدائية قتل الاطفال او بيعهم وتعدد الازواج

واكثر شيوعاً قتل الاطفال فقد ذكر العلامة داروين» في كتابه «تسلسل الانسان» ان شعوباً كثيرة كادت تنقرض من ممارستها لهذه العادة وهو يرى ان تعدد الازواج نتيجة لها اذ لما كانت البنات اكثر من يقتل من الاطفال أتى على هذه الشعوب وقت لم يجد الرجال نساء بنسبة عددهم فاضطر كل بضعة منهم الى الاشتراك في امرأة واحدة وعنده « ما من علة تكفي لقتل الشعور الطبيعي العام بالغيرة والقضاء على رغبة كل رجل في الاستئثار بامرأة سوى قلة النساء»

لكن يُرَدّ على هذا بأن العرب في الجاهلية كانوا يئدون البنات ولم يصيروا الى الاشتراكية في النساء بل هم من اشد الناس غيرة على النساء . واعتقد لهذا ان لا صلة بين العادتين وان كلاً منها نشأت في بيئة تختلف عن الاخرى . اما قتل الاطفال فمن عادات البدو يمارسونها في فصل الجفاف الذي تقل فيه الاقوات والكلاء فيضطرون الى الارتحال للغزو والتماساً للرعي . ويقتلون الاطفال عندئذ اقتصاداً للزاد ينفقهم في رحلاتهم وهم في الغالب انما يقتلون البنات دون الاولاد لان هؤلاء اكثر انتاجاً واعظم نفعاً لقبائلهم من البنات . واني اميل الى الاعتقاد بأن تقديم الذبائح البشرية نشأت من هذه العادة وان الشعوب التي مارستها هي التي كان من عادتها قتل الاطفال ثم تعلمت الزراعة فلم تترك هذه العادة بل جعلتها من الدين وزلفى للآلهة ولبثت هذه العادة كذلك زمناً ثم استبدلت الضحايا البشرية بذبائح من اجناس البهائم . وبعض الشعوب يتخلصون من اطفالهم بالبيع بدلاً من قتلهم ومن الشعوب التي عرفت بذلك أمة الشركس . وأن في جمال صورهم وقرب بلادهم من امم مترفة غنية ما يعلل أخذهم بهذه العادة دون القتل

اما عادة تعدد الازواج فتكون في الاقاليم التي يموت اهلها في أمور معاشهم على الحاصلات الطبيعية يجمعونها في مواسمها ويخزنون منها كفايتهم الى الموسم التالي . وفي العادة يتولى الرجال الجمع اما المرأة فوظيفتها حفظ المؤونة وتخزينها ومثل هذه الجماعات تعتمد كثيراً على حكمة المرأة وحسن تدبيرها في انقاذها من المجاعة . وذلك هو سر سيادتها التي تغالت فيها حتى استباحت لنفسها بحجة توفير الاقوات لقومها ان تتخذ آخذاناً كما تشاء يعاونونها في ذلك

وهذا النظام يشبه من بعض الوجوه نظام النحل في خلاياه فالمرأة في بيتها هي الملكة والرجال عندها كالارقاء . ويقل رضى الرجال بهذا لان طبيعة البيئة تقتضيه ولانهُ النظام الذي يكفل للقوم الفوز في جهادهم للبقاء . ولم تمنعهم الغيرة عن ذلك فما كانت العاطفة تقف حائلاً دون ارضى بنظام يقوم على غريزة دونها سائر الغرائز قوة هي غريزة حب البقاء

ومن نتائج تعدد الازواج انهُ يقصر التناسل على عدد قليل من الرجال لان المرأة مهما تعدد أزواجها لا تعطي نسلاً الا لواحد ويضيع غرس الآخرين سدًى فتقل نسبة المواليد تبعاً لذلك . ومع خطورة هذه النتيجة لدى الشعوب التي تجهل الاستقلال ووسائله لحفظ التوازن بين الانتاج والاستهلاك لست اظن انها في أخذها بعادة تعدد الازواج كانت ترمي اليها اذ لا يتصوَّر ان شعوباً في هذا الطور البدائي تكون من سمو الادراك بحيث تقدر هذه النتائج البعيدة يد انهُ من المحتمل ان تكون قد ادركت بعد زمن هذه الفائدة فكان ذلك من العوامل التي ساعدت على تدعيم هذا النظام ورسوخ اركانه

وقد كانت لسبارطه شريعة سنها ليكورغ تبيح الاشتراك في النساء بجواز بموجبها للشاب

الجيل اذا اشتهى امرأة جاره ان يستأذن منهُ ليضع في تربة زوجه الطاهرة غرسه فيأذن له ولا يرى انهُ اتى بذلك امراً ادًّا. ولم يكن الباعث على هذا النظام التعاون على توفير أسباب المعيشة كما هو الشأن عند غيرهم من الشعوب التي على الفطرة وانما هو نتيجة لانهماك الرجال في الحروب حتى كان أحدهم يقضي زهرة حياته بعيداً عن بيته وقد صارت للنساء بسبب ذلك على ما رواه ارسطو السيادة في بيوتهن حتى كان الرجل لا يخاطب زوجه الا بقوله سيدتي او مليكتي ولا بد انهن اسرفن لسبب نفسه مع هوى نفوسهن فتخذن اخداناً . ولا ريب في ان هذه الحالة كانت مثاراً لمشاحنات كثيرة وخصومات بين الرجال فلما جاء ليكورغ وكان جل غرضه تعزيز الروح الحربية لم يعنه من الامر الا القضاء على هذه المشاحنات وكان من تدبيره لذلك تلك الشريعة التي اشرت اليها التي جدع بها انف الغيرة فأزال اسباب الخصومة بين الرجال وقد نجح في ذلك نجاحاً بيناً من آياته انتفاء معنى الزنا من اذهانهم. وقد كان للرومان شريعة سنها لهم حكيمهم نوما تخول للرجل الذي يكثر اولاده ان يتخلى عن زوجه لجاره الذي لا خلفة له اذا طلبها اما الى اجل مسمى او لغير اجل وهي اشبه ما تكون بشريعة طلاق لكن بلوطارخوس في الموازنة بين ليكورغ ونوما يساوي بينها وبين شريعة الاول الآنفة الذكر ويصفها بأنها مثلها تبيح الاشتراكية في النساء مع فارق هو ان شريعة ليكورغ تبيح للرجل ان يدخل على المرأة المزوجة في بيت زوجها ولم يكن ذلك جائزاً في شريعة نوما الا بعقد مع زوجها كما تقدم ومع اعتراف بلوطارخوس بأن هذا العقد قناع يختفي وراءه اشتراكية لا ريب فيها يقرر افضلية شريعة نوما لتقريرها هذا العاقد

وظاهر من قصر حق النزول عن الزوجة على من يكثر اولاده ان الشارع كان يرمي الى تخفيف تكاليف الحياة عن عاتق الفقير بتقليل نسله . ولعل نوما وجد النساء الفقيرات يتبذلن للكسب خلسة من ازواجهن وكانت جرائم كثيرة ترتكب من الغيرة وخشي اذا بقي الحال على هذا ان تشتعل قلوب الفقراء بالحقد على الاغنياء لاعتدائهم على اعراضهم وان يضاعف لهم ذلك مرارة الفقر واشفق من عواقب هذا على السياسة الحية ان يصف بها تايد الطبقات فسن هذه الشريعة علاجاً لذلك كله

ورأي فيما يتعلق بالتوارث انهم كانوا قبل الاسلام يبيحون تعدد الازواج من الفقر ولاضطرار الرجال ان يتغيبوا طويلاً عن بيوتهم للغزو . ومن آثار ذلك عندهم سيادة المرأة ونسبة الابناء الى الام دون الاب وقد تكلمت فيما سبق عن العوامل التي تمكن للمرأة من السيادة في عشيرتها . اما نسبة الابن الى امه فسببها انه في حالة تعدد الازواج يتعذر ان يعرف الاب على وجه التحقيق . ومع انهم قد ابطلوا بالاسلام تعدد الازواج فقد بقيت هذه العادة لاتصالها بتقاليدهم ولان سيادة المرأة من دعائم نظامهم الاجتماعي

اسيوط ناشد سيفين

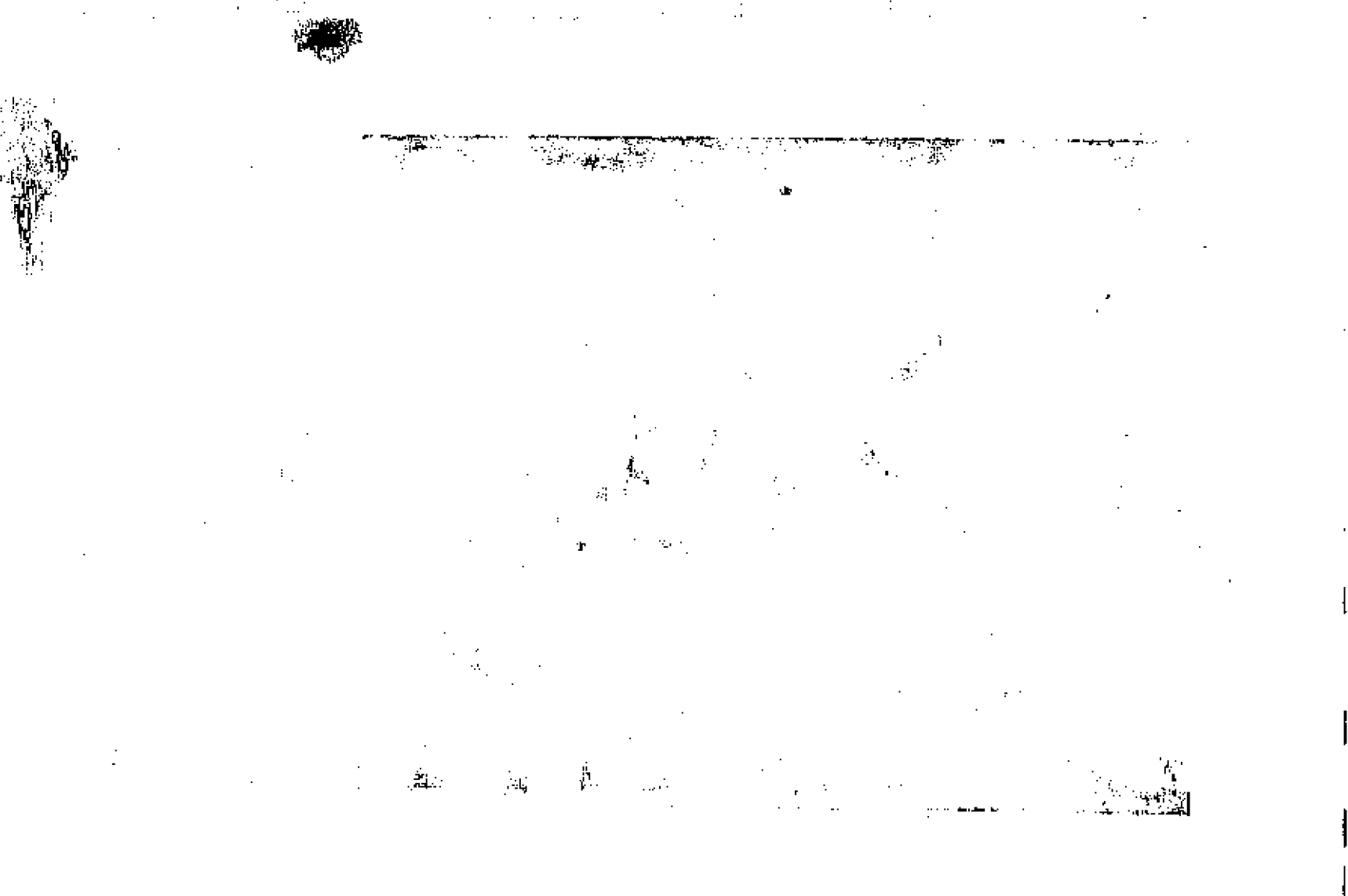

الآنسة ايمي جنسن

التي طارت وحدها على طيارة خفيفة من طراز موث من انكلترا الى استراليا .
وقد اشرنا الى ذلك في مقتطف يوليو الماضي صفحة ١١٦